دور المؤسسات والمدارس في ترسيخ التعايش وتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها من خلال مناهجها التعليمية

دراسة تاريخية ميدانية

The Role of Institutions and Schools in Establishing Coexistence and Teaching Arabic to Non-Native Speakers Through Their Educational Curricula - A Historical Field Study

م. د. هيوا طاهر عباس ملا زادة*

م. د. صالح محمد عبدالله *

Dr. Hiwa Tahir Abbas
Dr. Saleh Mohammad Abdullah

الملخّص:

حث الدين الإسـلامي الحنيف في دعوته الأولى في مفتتح الرسـالة على القراءة والكتابة وطلب العلم. فهذا القرآن الكريم الذي ختم الله به الكتب السـماوية نجده يفتتح دعوة السـماء بالدعوة إلى القراءة، ولما يُكتب بالقلم من علوم تهدى وتسـتنير وتنعم بها الأمم. كما أقسـم الله سـبحانه وتعالى به، ومن هذا المنطلق كانت البداية الأولى لطلب العلم والتعلم والاهتمام بالمدارس وأماكن التعليم، وعلى هذا الأسـاس تأسّسـت المدارس العلمية الشـرعية ما تسـمى في كوردسـتان ب(الحجرة).

الكلمات المفتاحية: دور، المؤسّسات، المدارس، ترسيخ التعايش، تعليم، غير الناطقين باللغة العربية، المناهج التعليمية.

* مديرية الوقف السني/ كركوك – العراق.

Email: Hiwataher80@gmail.com
Sunni Endowment Directorate in Kirkuk - Iraq.

* مديرية الوقف السني/ خانقين – العراق.

Email: Salih1971@gmail.com
Sunni Endowment Directorate in Khanaqin - Iraq.

Abstract:

The true Islamic religion urged in its first call at the beginning of the message to read, write and seek knowledge. This Holy Quran, with which God concluded the heavenly books, we find it opening the call to heaven with a call to read, and for what is written by the pen of sciences that guide, enlighten and enjoy nations. As God Almighty swore by it, and from this starting point was the first beginning of seeking knowledge and learning and caring about schools and places of education, and on this basis the religious scientific schools were established, what is called in Kurdistan (The Room).

Keywords: Role, Institutions, Schools, Establishing Coexistence, Education, Non-Native Speakers of Arabic, Educational Curricula.

المقدمة:

الحمدُللهِ رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبنا المصطفى محمد وعلى آله وأصحابه، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

لقد حثّ الدين الاسلامي الحنيف في دعوته الأولى في مفتتح الرسالة على القراءة والكتابة وطلب العلم، فهذا القرآن الكريم الذي ختم الله به الكتب السماوية نجده يفتتح دعوة السماء بالدعوة إلى القراءة فهي مفتاح النور والإيمان، ويعطي قيمة سامية ومكانة رفيعة سامقة للعلم والعلماء، ولما يكتب بالقلم من علوم تهدى وتستنير وتنعم بها الأمم، كما أقسم الله سبحانه وتعالى به، وفي الحديث الشريف "طلب العلم فريضة على كل مسلم[٣]، ومن هذا المنطلق كانت البداية الأولى لطلب العلم والتعلم والاهتمام بالمدارس وأماكن التعليم وعلى هذا الأساس تأسّست المدراس العلمية الشرعية ما تسمى في كوردستان ب(الحجرة).

في بلادنا يوجد الكثير من المدارس الدينية لتعليم الأطفال والشباب القراءة والكتابة وعلوم الشريعة الإسلامية، حتى لا تكاد تجد عالمًا أو شاعرًا أو أديبًا أو حتى سياسيًا أو قياديًا قاد ثورة إلا وقد كان له نصيب في التعليم في تلك المدارس.

قسم البحث الحالي إلى مقدمة، وتمهيدٍ في تعريف الألفاظ الواردة في العنوان، ومبحثين.

(٣) عدنان فرحان تنها. الحوزات العلمية: النشأة والتطور وآفاق المستقبل. (اطروحة دكتوراه)، قم: المركز العالمي للعلوم الاسلامية، ٢٠٠٦، ص٣.

--- المبحث الأول: في بيان أهم المؤسسات والمدارس الأهلية وتاريخها.

--- أما المبحث الثاني فبينت فيه دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها.

وتأتي الخاتمة لتلخص أهم ما توصل إليه الباحث من استنتاجات. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: في بيان أهم المنظمات والمدارس الأهلية وتاريخها:

تُعَدُّ منطقة (كوردستان) الواقعة في شمال العراق، من المناطق التي دخلت الإسلام مبكرًا، وعملت على خدمته ونشره والدفاع عنه منذ القدم إلى اليوم، وبقيت محافظة وملتزمة بالإسلام وأحكامه، فلا تجد فيها قرية إلاّ ولها مسجد وإمام، والحمدلله، وقد تكون فيها مدرسة للعلوم الشرعية. وكانت المنهجية العلمية التي تبنّاها علماء المنطقة، إذ يقوم الشيخ بتدريس عدد معين من الطلبة الواصلين إلى مرحلة كبيرة (مستعد[٤])، وهم بدورهم يقومون بتدريس الجيل الثاني (سوخته[٥]) الّذين لا يزالون يحتاجون إلى مزيد من التعليم. إذن ففي داخل المدرسة يزاول الطلبة الكبار دور التدريس عدة سنوات حتى يتهيَّأون ويستقلون بالتدريس فيما بعد. ويقول الشيخ عبد الكريم المدرّس رحمه الله[٦]، في مقدمة كتابه: «علماؤنا في خدمة العلم والدِّين» : (لا يخفى على العالم بتاريخ الإسلام أنه بعد انبثاق نور الدِّين المبين في ربوع شرق الجزيرة وشمالها، اعتنقت الأمة الكردية الإسلام برحابة الصدر، وخدموه في العسر واليسر، وجاءوا بما يسرّ الناظر من التأليف والمآثر والمفاخر، غير أنّه لم تسجّل أسماؤهم وآثارهم لعوامل منها:

- خلّو بلادهم من المطابع وأسباب نشر العلوم وابتعادها عن البلاد المأهولة بها.
- أنّه لم تكن لهم ثروة كافية للوصول إلى طبع ما يرون نفعه من الكتب القيمة والرسائل النافعة لتثقيف المسلمين، ولذلك ولعوامل أخرى بقيت تراجمهم مكتومة، إلاَّ تراجم عدد قليل منهم هاجروا

(٤) وهو مصطلح يقصد به أنَّ طالب العلم وصل إلي مرحلة الاستعداد للتدريس، وأصبح قاب قوسين من أخذ الإجازة العلمية.

(٥) سوخته: اي مبتدي في تحصيل العلم .

(٦) هو عبدالكريم بن محمد بن عبدالفتاح بن سليمان، من عشيرة (القاضي)، ولد في شهر ربيع الأول سنة (١٣٢١هـ – ١٩٠٣م)، بدأ بالدراسة عند والده، وختم القرآن الكريم وقرأ بعض كتب المرحلة البدائية، وفي سنة (١٣٣٣هـ) ، ذهب إلى السليمانية لإكمال الدراسة، ثم عم الجدب المنطقة فهاجر إلى (دورود) كوردستان – إيران، و أعانه فيها الشيخ علاء الدين ماديا ومعنويا حتى تعلم النحو والفقه والآداب والمنطق والفلك ، وفي سنة (١٣٤٠هـ) ذهب إلى خانقاه مولانا خالد في السليمانية، وبقي في الخانقاه يتلقى العلوم من الشيخ عمر القراغي وأخذ منه الإجازة العلمية سنة (١٣٤٣هـ)، وله مؤلفات كثيرة باللغات الثلاث ، الكوردية والعربية والفارسية، توفي يوم الثلاثاء في بغداد سنة (١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م)، عليه رحمة الله وبركاته. ينظر : حياة الأمجاد من العلماء الأكراد ، للشيخ طاهر ملا عبدالله البحركي ، دار ابن حزم، بيروت –لبنان، ٢١٩/٢.

إلى البلاد العربية وبقوا فيها مدة، أو توطَّنوا بها، فسجلت فيها على عادة الناس المتبصرين في ضبط أحوال أهل الفضل في البلاد خدمة لأهل الدين)[٧].

ومن أهم المدراس التي لعبت دورًا بارزًا في التربية والتعليم والعرفان وتثقيف الناس بأمور تتعلق بالاهتمام باللغة العربية باعتباها لغة القرآن الكريم وتعليم الأطفال والنساء وعلى ضوء المدارس الأهلية الشرعية أسست منظمات أهلية كثيرة تهتم بهذه الأمور حيث ربى أعلامها جيلًا على التربية الروحية وتعليمهم اللغة العربية والحب والتزكية والذكر والفكر، وهذا ما سنبينه من خلال هذا المبحث.

أولًا: مدرسة حاجي كاك أحمد الشيخ السليماني:

إن لهذا الشيخ دورًا مهمًا وبارزًا في جمع شمل المجتمع ولمهم في مكان واحد وهذه الصورة الجميلة رأيناها ونراها في كل يوم بأم أعيننا في جامع ومدرسة ومقام شيخنا الحاج كاكه أحمد الشيخ السليماني في الجامع الكبير في السليمانية في كردستان العراق.

فمن يذهب إلى هذا المكان يجد الكردي وبزيه الجميل ويجد العربي وبزي قومه ويجد السني والشيعي بل وحتى من بقية الديانات الأخرى وذلك من خلال مواقف أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– وسطيته في سياسة التعايش في منهجه: إذ كانت ولا تزال تعيش في السليمانية طائفة من المسيح واليهود والكاكية حيث كان للحاج كاك أحمد الشيخ دورًا فعالًا في تعليم الناس وتثقيفهم منهج الاعتدال والتعايش مع المسلمين وغير المسلمين ولما علم بأن هناك أيادي خبيثة تريد زرع الفتنة بين المسلمين والمسيحيين، زوّج ابنه امرأةً من المسيحيين اسمها مريم ولما رزقهما الله طفلًا لم يسمه محمدًا وإنما سماه عيسى إذعانًا بالوحدة والتقارب بين صفوف المجتمع.

– مطبخ الخيرات: من المشاهد المتألقة التي يرصدها رواد الجامع الكبير في السليمانية وزواره (مطعم الجامع) وهو مكان مخصص لتهيئة وإعداد الطعام لجميع رواد المسجد والمارّة والمحتاجين وعموم الناس الراغبين بالأكل والمحتاجين إليه.

{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان: ٨]

(٧) ينظر :: علمائنا في خدمة العلم والدين، للشيخ عبدالكريم محمد المدرس، مكتبة الوطنية– بغداد– العراق ، ص٤٠٣.

أنشأ هذا المطعم المغفور له العلامة الشيخ الجليل كاك أحمد الشيخ "رحمه الله" وصار جزءًا أصيلًا من أجزاء الجامع وأركانه.

إن التكافل والتعاون بيننا هو السبيل الوحيد لبقاء حياة مستقرة آمنة، عمادها القيم النبيلة والأخلاق الحميدة والمعاني الصادقة للإيمان. إن حبنا لبعضنا وتسامحنا وتعاوننا يفتح أبواب الأمل لحياة أفضل ومستقبل أفضل.

وبفضل الله وحمده لا زال مطعم الشيخ كاك احمد الشيخ في جامع السليمانية الكبير يستقبل العشرات وربما المئات يوميًا بروح التآخي والتعاون الإسلامي بعيدًا عن المنة والفوقية والطبقية، فتجد في هذا المطعم طلاب العلم والمصلين والمحتاجين وعابري السبيل معًا على حد سواء، لأنّه لا فرق بين الإنسان وأخيه الإنسان إلا بالتقوى والعمل الصالح وفعل الخير وحب الناس والتعامل مع المجتمع بإيجابية.

ومن المفرح في هذا العمل الخيري تجد من يأتي لأكل هذا الطعام الغني، لأنه يلتمس فيه البركة والتبرك ولشفاء المرضى، وتجد الكردي والعربي والبنكلاديشي والنيبالي والصيني والإيراني والتركي وغيرهم من بقية البلدان.

والجدير بالذكر أنّ إدارة هذه المدرسة تعطي آلاف الأشخاص من الفقراء ووافدي هذا المكان كل يوم عدا يوم الجمعة الطعام والشراب من دون أن يتسخ المكان أو يؤثر على البيئة، حيث تجد أن هناك مكان مخصص للجلوس على الطاولة لإطعام الطعام وهناك لجنة خاصة للعناية بنظافة هذا المكان.

وأن هناك مكان خاص لزيارة النساء وتعليم العلوم الدينية والعلمية والثقافية في هذه المدرسة المباركة في محافظة السليمانية.

ومن هؤلاء العلماء والشعراء، العلامة الشيخ معروف النودهي الكوردي الذي عاش في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر الهجري ثمانية وثمانون عامًا قضاها في خدمة العلم والشعر والأدب لنا تراثًا علميًا وأدبيًا، وخلف من المنظومات العلمية والمؤلفات من مختلف العلوم والفنون ما ينيف على خمسين مؤلفًا كلها آية في البلاغة والبداعة والبراعة، هذا عدا تخاميسه وتسابيعه وتشاطيره من القصائد المشهورة.

ومن المؤسف أن آثاره الأدبية، ومنظوماته العلمية قد تفرقت وتبعثرت في مكتبات الداخل والخارج، فقد قسم منها في حياة الناظم وبعده، وأتى منذ أكثر من عشر سنوات تتبع تلك الآثار المبعثرة في زوايا المكتبات.

ولما كان هذا الإمام اللغوي والناظم الملهم، صاحب اليد الطولى في ميداني العلم والأدب، حق علينا أن نحيي ذكراه.

وكان لعلماء المسجد دور هام في الإصلاح والتوجيه والرعاية وكان الشيخ كاكا أحمد عالمًا وفقيهًا ومعلمًا ومصلحًا اجتماعيًا، وكان لعالمنا هذا نهج خاص في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في حقوق الآدميين وكان لهُ ضربان عام وخاص في هذا المجال، فأما العام فكان ينظر إليه نظرة عالم عارف وبتصوره هذا كان يشبه الحقوق كالبلد إذا تعطل شربه أو استهدم سوره أو كان يطرقه بنو السبيل من ذو الحاجات فكفوا عن معونتهم قد أحاطت بهم الخطيئة إنه يرى) رحمه الله (إن كان في أموال الأغنياء مال ... ولم يتوجه عليهم فيه ضرر أمر بإصلاح شربهم وبناء سورهم وبمعرفة بني السبيل في الاجتياز بهم، لأنه حق للفقراء يلزم الأغنياء دفعه بأمر من الله ورسوله، وكذلك دوره في حماية الأديان الأخرى من المسيح واليهود والقوميات الأخرى حيث كان يقضي بينهم بحكم الكتاب والسنة.

ومن كل هذا نستنتج أنّ دور المساجد والجوامع لم يقتصر على أداء صلوات الجماعة وإقامة الجمعة فحسب، بل كانت الجوامع ولاسيما الجامع الكبير مسجدًا للعباة ومدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ومدرسة للعلوم العربية والإسلامية ودارًا للأفتاء ومنتدىً للتجديد ومرجعًا دينيًا واجتماعيًا للسليمانية وما جاورها(٨).

ثانيًا: مدرسة كربجنة العلمية الروحية:

تأسست هذه المدرسة على يد السيد الشيخ عبد الكريم قدس سره العزيز حيث ينتهي نسبه إلى الروضة العلية المحمدية ويرتفع نسبه الأعلى إلى الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم. وقد هاجر أجداده إلى الشمال الأقصى من بلاد الإسلام في موجات الهجرة التي جاءت بعد الاضطهاد الذي لاقته هذه العائلة الشريفة، فاختارت المناطق النائية من الدولة الإسلامية، وكانت لهذه الهجرة أدوار كبيرة في حياة الناس والمسلمين. إذ قادت الأمة الإسلامية قيادة روحية وخدمت الدين بكل وسيلة، وقد كان من بين هؤلاء السادة الذين تركوا الجزيرة العربية وهاجروا إلى أرض الله الواسعة السيد أبو

(٨) ينظر : تيسير العسير للشيخ سالار الحفيد مكتبة الوطنية– بغداد– العراق ، ص٤٠٣.

يوسف الذي لقب بالهمداني لأنه استقر في مدينة همدان، وكان رجلًا عالمًا متصوفًا زاهدًا وفقيهًا تقيًا في الشريعة الغراء، اشتهر أبو يوسف بتقواه والتف حوله ألاف من الناس يتلقون العلوم الدينية والتصوف على يده. وكان له ابن اسمه السيد بابا علي الهمداني، وكان للسيد بابا علي ولدان السيد موسى والسيد عيسى، اللذان انتقلا إلى شمال العراق وسكنا في قرية برزنجة بمحافظة السليمانية ولقبا بالبرزنجي نسبة إلى القرية المذكورة وقد توفي السيد موسى بدون أن يترك ذرية، وبقي السيد عيسى البرزنجي الذي ينتسب إليه جميع السادة البرزنجية بفروعهم المنتشرة ومن ضمنهم العائلة الكسنزانية.

من مواعظ مؤسس هذه المدرسة الشيخ عبد الكريم قدس سره العزيز لطلابه: " اعلم يا ولدي إن الدنيا خيال وما فيها إلى زوال، هم أبناء الدنيا دنياهم، وهم أبناء الآخرة آخرتهم، إياك والدعوى الكاذبة، ما أكلت تفنيه، وما لبست تبليه، وما عملت من خير أو شر تلاقيه.

وقد أهتم أعلام هذه المدرسة باللغة العربية حيث ربوا أتباعهم على حب اللغة العربية وتعلمها كونها لغة القرآن الكريم وكذلك شجعوا العنصر النسوي على المشاركة في الأمور الخيرية وتعليم اللغة العربية جنبًا إلى جنب مع الرجال.

ثالثًا: مؤسسة العراق للتقريب والحوار:

تأسست مؤسسة العراق للتقريب والحوار في يوم المولد النبوي الشريف من عام ١٤٤٣هـ على يد مجموعة من أساتذة وعلماء وخطباء جوامع وباحثين لتكون منبرًا ومجلسًا للحوار ليعطي قوة لعمل المؤسسة. إذ قامت هذه المؤسسة بعدد من الجلسات والمؤتمرات والندوات على يد الأمين العام للمؤسسة فضيلة الشيخ الدكتور عبد الأمير الكيلاني حفظه الله الملك المنان.

إذ نجد أن هذه المؤسسة تهتم اهتمامًا بالغًا في تعليم علوم اللغة العربية وفتح دورات تعليمية لغير الناطقين بها من الأجانب الذين أتوا من بلدان أجنبية.

رابعًا: مدرسة الشيخ طاهر ملا زادة:

هو الشيخ طاهر الشيخ ملا عباس الشيخ ملا زاده، وملا زاده تعني عائلة العلم لأنه ينتمي إلى بيت من أهل العلم والعرفان نسبة إلى جده السادس.

نشأته: نشأ الشيخ طاهر وتربى في حضن والده الشيخ عباس الذي كان رمزًا في العلم والتربية والزهد، الذي كان يلقب من قبل علماء عصره ب((ولي الداودية))، إذ بدأ في السادسة من عمره بدراسة القرآن الكريم وعلومه وعلوم اللغة العربية والفقه والتفسير والتصوف في مدرسة والده وترعرع فيها حتى أنه أصبح مُدرّسًا فيها. وقد بدأ بتدريس بعض العلوم الشرعية في مدرسة والده وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره لشدّة ذكائه.

بعد أن أخذ الشيخ طاهر الشيخ ملازاده إجازته العلمية والإرشادية سلك على يديه كثير من الشباب والطلاب والمريدين حتى كثر أتباعه وانتشروا في كثيرٍ من مدن العراق، إذ كان له أسلوب خاص في إيصال المعلومات الفقهية والعلمية إلى أذهان طلابه، وكان له في كل مجلس كلمة يزينها بالآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والقصص والحكايات بحيث يُبكي المستمع ويُضحِكُه في آنٍ واحد.

كان الشيخ طاهر رحمه الله يحب السفر حبًّا شديدًا، وكان يقول: "نحن قوم اختارنا الله لخدمة دينه وعباده" وأن الناس بحاجة إلى معلم يعلمهم ومرشد يرشدهم، لذلك كان كثير التجوال في أنحاء البلاد والقرى والنواحي المختلفة لوعظ الناس وإرشادهم، وكان إذا عزم على سفر للإرشاد أو للصلح بين عشيرتين كان يتجهز لهذا السفر ولا يتخلّف عن أصحابه أبدًا، وكان نشيطًا خفيفًا على أصحابه في السفر، حتى أنه كان يقول منذ خمسين سنة وأنا أتجول وأسافر في جميع مدن العراق وخارجه وما تخلفت عن أصحابي في السفر قط. وكان حيث يصل قرية أو ناحية أو أي مكان يستقبله الفقراء قبل الأغنياء والبسطاء قبل الوجهاء والعلماء، وكانوا يدعونه لتناول الطعام عندهم وكان يقبل ذلك بشرط طعام بسيط وعدم الإسراف.

وكان قدس الله سره يباشر بدعوة الناس ووعظهم وإرشادهم حيث كان يعظ الناس حوله، وكان ذا وعظ مؤثر على قلوب الناس، فيرشدهم ويعلمهم الشريعة والطريقة ويأمر ببناء المساجد والمدارس في القرى النائية، ويخلف عليهم من ينوب عنه لتعليمهم آداب دينهم الحنيف وسلوك طريقته، كما يعين عليهم عالمًا لتعليمهم أصول الشريعة الغراء السمحاء وكل ما يحتاجه المسلم وهكذا دأبه في كل قريةٍ وناحيةٍ ومكانٍ يمر به.

وكان يعظهم على الأخوة والتآلف والمحبة وعدم التفرقة، وكان يقف بوجه كل عصبية وقبلية وقومية ومذهبية. كما كان يقول في سفراته وجولاته نحن كلنا كشجرة جميلة مثمرة، فالشجرة لو قطعت منها أوراقها وأثمارها وأغصانها يا ترى هل تبقى جميلة مثل شكلها وهيأتها الأولى؟ بالتأكيد: لا، لذا كان كثيرًا ما يؤكّد على هذه الأمور ولو قيل له: يا شيخ إن فلانًا أو البيت الفلاني أو العشيرة الفلانية فيهم صفة التشدد أو

التعصب كان يذهب إليهم أو يدعوهم لحضور مجلسه وبعد حضورهم كان يدعوهم بأسلوبه الرقيق الجميل وبالحكمة والموعظة الحسنة فكانوا يستسلمون ويتركون هذا العنف والتطرف. وكان يرشدهم في جلساته للحفاظ على علم اللغة العربية والتحدث بها. وكان يجلس في مجلسه النساء فيعظهن ويرشدهن ويعلمهن أمور الدين والدنيا والعلوم النافعة في المجتمع.

المبحث الثاني: دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها:

يبيّن المبحث الثاني دور المؤسسات والمدارس الأهلية في الحفاظ على علوم اللغة العربية من خلال دراسة مناهجها، فمن البداهة لدى الجميع، أنه من أكبر التحديات التي تواجه المسلمين اليوم هو قضية الإقرار بالتعايش الديني والقومي والثقافي بل وحتى التعايش بين الجنسين (الرجل والمرأة)، ولم يعد الإنسان يشعر بالأمن على نفسه وماله وعرضه، إذ نلاحظ يوميًا مشاهد القتل والتشريد والنزوح، والغريب أن أغلب هذه الأعمال الإجرامية ترتكب باسم الإسلام وفي ظل مسميات إسلامية وبغطاء جماعات وتنظيمات إسلامية حتى خلقوا صورة مرعبة في أذهان غير المسلمين والأجيال الجديدة للمسلمين، وهذا يتطلب منا أن نسهم جميعًا في وقف نزيف الدم وعدم قتل الأطفال والأبرياء وعدم تفجير المساجد وأماكن العبادة وعدم هدم وطمس الموارد الطبيعية من الأشجار ومياه العيون والأنهار وغيرها التي تعد مصدرًا للحفاظ على البيئة، وسدِ الباب أمام موجات الكراهية والنكران، وعدم السماح بتشويه صورة الإسلام.

ومن أهم الوسائل الفعالة للوقوف أمام هذه الموجة الخطيرة هو إظهار روح الإسلام في صورته الحقيقية، صورةِ التعايش والتسامح والأخوة وحب الآخرين[٩].

وهذه لا ولن تكون إلا بالرجوع إلى ما جاءت إليه غاية بعثة الأنبياء والرسُل صلوات الله وسلامه عليهم ألا وهي تربية الفرد والمجتمع بتزكية الأنفس وخلاصها من رذائل الدنيا والركون إلى الشهوات كما قال تعالى:

٩) استفدت من مقدمة بحث (تنوع طبقات المجتمع ضرورة إنسانية) الذي تقدم به صاحبه الدكتور جعفر الكواني إلى ندوة: (الحرية الدينية وتعزيز مبدأي الحوار والسلم) المنعقدة في ٢٠١٧/٤/٢٢ في (الأردن) في مركز (الإمام ابو عبد الله الشافعي). ينظر: كتاب: الخطاب الديني وتنوع طبقات المجتمع، د. جعفر الكواني مطبعة: روزهلات/ اربيل، الطبعة الأولى ٢٠١٨بتصرف .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِى ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ۝٢ ﴾ الجمعة: ٢.

فقد طغت موجة من الماديات على قلوب المسلمين قطعت صلتهم بالله وتعلقهم به، فابتعدوا عن كل مظاهر العبودية والالتجاء الصادق إلى الله، حتى وصلوا إلى ما نراه من حيرة وقلق واضطراب. ولا سبيل للخروج من هذا المأزق إلا بالتزام العبودية لله تعالى والتحرر من عبودية الوثنيات والطواغيت وشهوات الدنيا والماديات على اختلاف أشكالها وأنواعها، تلك العبودية التي لو استجاب الناس لها لعاشوا في اطمئنان وسعادة وسلام، والتي هي أساس العمل الصالح الذي يثمر نهضة الأمة، وينقذ الإنسانية جمعاء من جحيم العبودية والخضوع للبشر، ويرد عليها تراثها ويرفع منزلتها ويمنحها السعادة والفوز في الدارين.

إنّ الحديث عن المصلحين وأئمة الدين والمشايخ المربين لا يبلى مهما تعدد، ولا يمل مهما تردد، لأن الحديث عنهم بركة ورحمة[١٠].

ولقد برز في هذا المضمار كثير مِن المفكرين والعلماء الربانيين ذابوا وانصهروا في بَوتَقة الحبّ والخدمة الخالصة لمجتمعاتهم، فصاروا جنودًا مجهولين لم يكن لهم همّ ولا غاية إلاّ خدمة المجتمع وإبلاغ رسالة الله إلى النّاس جميعًا مِن دون مِنّة على أحد أو مطلب دنيوي، بل كان جلّ اهتمامهم رضاءَ الله تعالى والفوزَ بمحبّة الله والناس، فلقد انتشر أمثال هؤلاء المصابيح للهداية في أرجاء العالم ولاسيما في جميع البِلاد الإسلامية، ولم يكن بينهم أيّة رابطة إلاّ رباطَ الأخوّة الإسلامية مع رباط الإنسانيّة.

وهؤلاء مُتوزّعون على كثير من الأقوام والشعوب والأمم وذلك نبغ من بينهم العلماء والصلحاء كلٌّ حسب حجمه ومكانه في المجتمع، وما مِن بقعةٍ في العالم الإسلامي إلاّ وقد نبغ فيها من بني قومهم علماءُ مُبرَّزون وصلحاء مشهورون مِنهم المفسّر والفقيه والنحوي والشاعر والنّاصح الأمين والماتن والشارح، وهذا مشهور لا حاجة في الإسهاب فيه.

فالحق أنّ سيرَ هؤلاء النُبلاء والأعلام معروفة ولكن كما قيل:

أعِد ذكرَ نُعمان لنا إنّ ذكره هو المِسْكُ ما كرّرتَه يَتَضَّوعُ[١١]

١٠) إشارة الى قول ينسب إلى ابْنَ عُيَيْنَةَ، يَقُولُ: «عِنْدَ ذِكْرِ الصَّالِحِينَ تَنْزِلُ الرَّحْمَةُ» ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأحمد بن عبد الله الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)٢٨٥/٧.

١١) ينسب هذا البيت للإمام الشافعي ولم أعثر عليه في ديوانه ولكن استشهد به عبد الرحمن الجامي في كتابه " ملا جامي في النحو " في مبحث غير المنصرف . ينظر : ملا جامي في النحو ، لعبد الرحمن الجامي : ص ٣٢ .

فلقد برز بعضٌ من هؤلاء العلماء الأعلام في ميدان العلم والتربية والتزكية والصلح والإصلاح وهم كثيرون منهم: ((الشيخ حسن القرجيواري الحسيني)) قدس سره، حيث كان عالمًا عاملًا زاهدًا مربيًا شاعرًا عابدًا داعيًا إلى الوسطية والاعتدال. وكان كثير الرحمة مع الناس حتى مع الحيوانات، ومن آثار تلك الرحمة أنه كان يذبح بعض الذبائح ويضعها على التلال القريبة من القرية حيث تأتي الحيوانات الضارية وغيرُها لتأكل منها وينصح الذي يذبح الذبائح بأن لا يأخذ منها شيئًا فتلك هي حصتهم، ومن رحمة ورفق الشيخ أيضًا: أنه كان يأمر بنثر الحبوب في النهر لتأكل منه الأسماك والحيوانات الأخرى.

وما نراه اليوم في مجتمعاتنا من القتل والتشريد والتطرف والتكفير والتفرقة إنما هو غيابُ هذه الرحمة المحمديّة وغيابُ تزكية النفوس التي كان يقوم بها مشايخنا أمثال السلطان الشيخ حسن القرجيواري.

ودعوة الشيخ التي هي "دعوة الإسلام" الذي جاء الأنبياء من أجلها وهي تزكيةُ النفوس البشرية وتربيتُها كما قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩ ﴾ البقرة: ١٢٩

وقد ربى الشيخ حسن القرجيواري جيلًا على الحب والتزكية، والإحساسِ بمشاعر الآخرين. هذا وكان قدس الله سره كل من يسلك الطريق على يديه يُعلمه آداب وأساسيات الدين، كالوضوء والصلاة والصوم والزكاة، ويعلمه قراءة القرآن، بقدر ما يقوم به فريضة الصلاة إن كان أُميًّا علمه فاتحة الكتاب وسورة الإخلاص وإذا كان يجيد القراءة يعلمه أيضًا القراءة الصحيحة كلٌ قدر استطاعته واستيعابه واجتهاده فمنهم من يوفق لختمه، ومنهم من يتعلم عدة أجزاء منه، ومنهم من يتعلم عدة سور منه، ويمنع المُريدين من إطالة الشعر رياءً ويأمرهم بقص الشارب وإعفاء اللحية، ويمنعهم من شرب السجائر.

الخـاتمـة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبذكر أوليائه تنزل الرحمات والصلاة والسلام على سيد السادات وفخر الكائنات حبيبنا محمد أزكى البريات وآله وصحبه والتابعين لهم إلى يوم الميقات.

وبعد في ختام بحثي هذا أسأل الله حسنَها، وأذكر فيها النتائج التي توصلت إليها في بحثي وأعقبها بالتوصيات.

أولاً : النتائج :

١- إن عصر أعلام هذه المدارس الذي عاشوا فيه هو عصر التقلبات السياسية والعسكرية التي ضعفت فيها التربية السمحة والثقافة العلمية فظهرت فرق وجماعات وأحزاب تدعو إلى التطرف والعنف والتفرقة بين المسلمين وتكفير المسلمين، وقد ساعد هذا الضعف التربوي في تدهور الناحية الاجتماعية فكثرت فيه المشاكل والخلافات بين الرجل والمرأة وعز فيه أهل الصلاح، وغزت المجتمعَ مظاهرٌ لم تعرف في مجتمع إسلامي سابق. وبالرغم من تدني الحالتين السياسية والاجتماعية استطاع هؤلاء الأعلام أن يربوا جيلًا يجمعهم على الحب والتربية والتآلف، ونبذ التطرف والعنف والإرهاب.

٢- إن هذا الموضوع له أهميته في أن يدرس ويستحق أن يجمع في رسالة علمية ويدرس دراسة دقيقة، مرتبة على مقدمة ومباحث لتستبين الرؤية ويتضح المزيد من هذا الجهد المبارك.

٣- أرجو أن يكون هذا البحث إضافة جديدة في مكتبة أهل اللغة العربية، إذ اشتمل على جهود مجموعة أعلام وهذا البحث بمثابة جمع جهودهم الإصلاحية في المجتمع.

هذا أبرز ما توصلت إليه نتائج هذا البحث. وبناءً على ذلك أوصي بما يلي:

ثانيًا: توصيات ومقترحات:

-وجملة هذه التوصيات والمقترحات نوجزها فيما يلي:

١- العمل على إنشاء دورات تربوية للمساجد والحسينيات والمدارس والتكايا، ويُدرس حياة المشايخ المربين أمثال الشيخ طاهر ملا زادة والشيخ كاك أحمد السليماني، لكي ينشأ المجتمع منشأ هؤلاء الأعلام الذين تربوا على العلم والعمل به من التزكية والتربية والمحبة ولنبذ العنف والتطرف.

٢- تأسيس منظمات ومؤسسات لتوعية الناس في الأماكن السياحية لتثقيفهم للحفاظ على سلامة اللغة العربية لغير الناطقين بها خلال الجولات السياحية.

هذا ما وفقنا الله لدراسته في هذا البحث، كما نسأله أن يغفر لنا ما كان منا في كتابة بحثنا من الأخطاء والزلل، وأن يكون هذا البحث ممًا يُنتفع به، إنه سميع مجيب وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.

قائمة المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم.

٢- الخطاب الديني وتنوع طبقات المجتمع، د. جعفر الكواني.

٣- تفسير ابن كثير.

٤- صحيح مسلم (٢٠٨٨/٤ ح٢٧٢٢).

٥- مختار الصحاح: زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي.

٦- www.niqash.org.

٧- مناقبات ولي الله الباري الشيخ حسن القرجيواري، تأليف محمد سعيد البرزنجي.

٨- المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لجمال الدين الجوزي.

٩- معجم المؤلفين، لعمر بن رضا كحالة الدمشقي.

١٠- جواميريكاني شيخ حسن قرجيوار، شيخ محمد برزنجي، ترجمة: عبد الفتاح شيخ عبد الله.

١١- وجوب إعفاء اللحية، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي.

١٢- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي.

١٣- سنن أبي داود ٤٣٧٣ في الحدود.

١٤- المعجم الكبير للطبراني (٤٥/٣ ح٢٦٣٤).

١٥- مجمع الزوائد للهيثمي.

١٦- موارد الظمآن لدروس الزمان، لعبد العزيز بن محمد السلمان.

١٧- شرح طيبة النشر.